



عن تدمير مَخيم اللاجئين في بحنين: شَارةٌ أخرى في الطريق إلى الحريق؟



أقلُّ المُتوقَّع من بَلَدٍ
لا يزال يُناقش في
جدوى التَّحقيق في انفجارٍ
تَسبَّب بسُقوطِ مئاتِ الضَّحايا
وبتدميرِ قِسمٍ من عاصمتهِ
تَحْتَ ذريعةِ أَنَّ كَشَفَ
الحقيقةِ عَمَّا جرى وَسَوَّقَ
المسؤولين يُهدِّد السَّلْمَ

الأهلي - أقلُّ المُتوقَّع من بَلَدٍ من هذا القبيل أن يَحْمَلَ على مَحْمَلِ التَّفصيلِ
العابرِ إحراقِ مَخيمٍ لاجئين وتَشريدِ سُكَّانه، وألَّا يُبالي بكَشَفِ الحقيقةِ عَمَّا كان
أو بترتيب المسؤوليات عنه.

ولأنَّه كذلك، ولكلِّ ما يُثبِّتُه لبنانُ الجريمةَ تَلَوَ الأخرى من كُرهٍ للحقيقةِ،
ومن نُفورٍ من إحقاقِ العدالةِ - فهذا التَّعليقُ على جَرِمةِ بحنين لا يرمي
إلى استنكارٍ ما جرى، ولا إلى إدانةٍ استِغلاءً بَعْضِ اللبنانيين استِغلاءً يُداني
العنصريَّةَ، ولا إلى الثَّناء على هِمَّةِ لُبْنانيِّين آخريين بادَروا إلى فَتْحِ بيوتِهِم
لاستقبالِ الهارِبين من ضحايا هذه الجريمة ولا لدَعْوَةِ السُّلطاتِ اللبْنانيَّةِ إلى
القيام بواجباتها والقضاءِ اللبْنانيِّ إلى تحمُّلِ مسؤوليَّاته...

كلًا، ليس هذا ما يَقْصِدُ إليه هذا التَّعليق... فهياتَ أصلًا أن يكونَ لكلامٍ من هذا الصَّنْفِ قيمةً بعد – وإنما يَقْصِدُ إلى التَّساؤلِ عن الجدوى مِنَ المِضِيِّ قُدْمًا في تَسْمِيَةِ الأمورِ بغيرِ أسمائها.

فَقُورَ وقوعِ الجريمة، جريمة مُخَيِّمِ بحنين، سارعَ المصلحون من لبنانيين ومن سوريين إلى وَصْفِ ما جرى بـ «الحادث الفردي»؛ ومع تَفْهُمِ «المبادرة الوطنية لمناهضة التمييز والعنصرية» لتوسُّلِ المتوسِّلين عَنْ حُسْنِ نِيَّةٍ بهذا الوصفِ مِنْ بابِ احتواءِ الموقِفِ وتهدِئَةِ المشاعر، فَمِنَ الحماقة، لا أقلَّ، أن يُبنى على هذا التَّشخيصِ، وأن يُظَنَّ بأنَّ قليلًا من الرُّطوبَةِ اللفظيةِ وقليلًا من تدخُّلِ الأجهزة الأمنية وقليلًا من الإغاثة الفورية هي الدواء الشافي لجُرح اللجوءِ في لبنان. فما جرى في بحنين مُستندٌ صريحٌ على ما يَلْتَهِبُهُ هذا الجُرح، جُرح اللجوءِ – ولا نقول اللجوءَ السوريَّ فقط – على خلفيةِ الاهتراء اللبناني العام.

يقول الشاعر:

أرى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِیْضَ نَارٍ فيُوشِكُ أنْ يَكُونَ لَهَا ضِرام
أما مَنْ لا يُريدُ أنْ يرى فَعَمَاهُ عُدْرُ أَقْبَحُ مِنْ ذَنْبِ!

على الرَّغْمِ مِنْ أنْ كُلَّ التَّفاصيلِ ذاتِ الصَّلَةِ بهذه الواقعة/الجريمة لم تَنْجَلِ بَعْدُ، فَحَقُّ بعضِ تفاصيلها أنْ تَسْتَوْقِفَ وأنْ تَسْتَدْعِيَ التَّأْمَلَ: تاريخيًا، لم يَنْشَأْ هذا المُخَيِّمُ مَعَ وفود اللاجئين السوريين إلى لبنان وإنما نَشَأَ ابتداءً، لِنَحْوِ ثلاثةِ عقودٍ خَلَّتْ، كَتَجْمُعٍ لَعَدَدٍ مِنَ العَمَّالِ السوريين. مَعَ تَدَهُّورِ الأوضاعِ الأمنية في سوريا جاء هؤلاء العَمَّالُ بعائلاتهم، وهكذا تَحَوَّلَ تَجْمُعُهُمْ إلى «مخيم لاجئين». وإنْ يَشِي هذا التَّفْصِيلُ بشيءٍ، فبِالتَّبَاسُاتِ الوجودِ السُّوريِّ في لبنان السَّابِقِ على اللُّجُوءِ وهو وجودٌ لم يَزِدْهُ اللُّجُوءُ إِلَّا تعقيدًا ولا سيما على المُستوى القانوني.

أما بِالْعَوْدَةِ إلى الواقعة/الجريمة بذاتها، فإنَّ عددًا من الشَّهاداتِ تُوجِي بأنَّ ما جرى لم يَكُنْ ابنَ سَاعَتِهِ أو وليدَ قُورَةٍ عابرةٍ وإنما عَمَلٌ مُخَطَّطٌ له أريدُ من

ورائه، لرُبّما، إخلاء العَقَارِ الذي يَشْغَلُهُ هذا المخيم.^(١) وبالْعَوْدَةِ إلى الواقعة/ الجريمة لا سبيلَ إلى الضَّرْبِ صَفْحًا عما سارَعَتْ إليه بَعْضُ وسائلِ الإعلام اللبنانية من التَّرْوِيجِ بأنَّ إطلاقَ نارٍ جاءَ أيضًا من الطَّرَفِ السُّوريِّ، وهو ما لم يَلْبَثْ أن نَفَاهُ رَسْمِيون لبنانيون... وهكذا دَوَالِيكَ...

لَعَلَّ الحَقِيقَةَ بِشأنِ موقِعة/ جريمة بحنين أن تَنْجَلِي يَوْمًا؛ غير أن هذه الموقِعة/ الجريمة، حتى مع بقاءِ الحَقِيقَةِ في أمرها مُعَلَّقَةً، مُنَاسِبَةٌ لا تُفَوِّتُ للتساؤلِ

بِسَدَاجَةٍ: كيف

أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِیْضَ نَارِ

فِيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضِرَامِ

أَمَّا مَنْ لَا يُرِيدُ أَنْ يَرَى فَعَمَاهُ عُدْرٌ أَقْبَحُ مِنْ ذَنْبِ!

للسُّلْطَاتِ اللُّبْنَانِيَّةِ التي

تَفْشَلُ في إدارةِ شُؤُونِ

اللُّبْنَانِيِّينَ واللُّبْنَانِيَّاتِ،

بما فيها إدارةِ أَمْنِهِمْ،

أَنْ تُؤْتَمَنَ على أَمْنِ

اللُّاجِئِينَ مِنَ السُّوريِّينَ — عَلِمًا أَنْ عِمَادَ سِيَّاسَةِ الحُكُومَةِ اللُّبْنَانِيَّةِ هُوَ نَفْيُ صِفَةِ اللُّجُوءِ عَنْهُمْ؟ إِنَّ تَمَسُّكَ «المجتمع الدولي» بِسِيَّاسَةِ التَّسْمُحِ تَجَاهَ السُّلْطَاتِ اللُّبْنَانِيَّةِ لَنْ يَزِيدَ أَزْمَةَ اللُّجُوءِ إِلَّا حِدَّةً وَتَفَاقُمًا، وَلَا يَحْتَاجُ النَّاضِرُ في أَحْوالِ لُبْنَانَ إلى مَلَكَاتِ تَحْلِيلِ خَارِقَةٍ لِيَقْرَأَ فِيمَا كَانَ شَرَارَةً على طَرِيقِ حَرِيقِ أَيْنَ مِنْهُ حَرِيقُ مُخَيِّمِ بَحْنِينِ!

(١) في «الحادث» بوصفه «عَمَلِيَّةً» وليس رَدَّةً فعلٍ عَفْوِيَّةً، انظر/انظري شهادة محمد الدهيبي على صفحته الفيسبوكية،

(٢٦ كانون الأول ٢٠٢٠): www.facebook.com/mdheiby

في احتمال أن يكون الحريق ذا صلة بمشروع تطوير عقاري، نبني على معلومات يُفْتَرَضُ بالتحقيق أن يُثَبَّتَ صِحَّتُها أو يَنْفِيها.

